حيوان

قصة/ حسين عارف

ترجمة/ عبدالستار كاظم

[وجهه اليوم بشوش ، تطفح الابتسامة على شفتيه . إنها لفرصة ، لاتضعها من المحتمل الا تسنح لك هذه الفرصة لاسبوع آخر . لاتضعها .]

هيأ نفسه . زرر سترته . تنحنح ليهيء حنجرته للكلام . تقدم نحوه بأدب جم . وقف على بعد خطوتين او ثلاث ، إتخذ قراره ، خطا إليه . ولكن خطوته تسمرت . « كيف افاتحه ؟! بماذا أبدأ ؟!.

أبلا مقدمة؟! صعب . لايمكن! من الافضل في البدء ان امهد السبيل . أجل يعني احرق له بعض الشمع والبخور .. أرش عليه بعض العطور ... أهدي اليه عدة باقات من الزهور . عند ذاك أفصح له عن مطلبي شيئا فشيئا . أظهر له أول مرة ان ليس لي اي مطلب . أحاديثي تلك كلها ماهي الامن أجل إظهار رضاى وسرورى انا ، ماهي إلا ان افهمه كم أنا محظوظ وسعيد ، كم انا مرتاح البال وفخور ، ثم بعدها أعمد الى إلقاء كلمة او اثنتين ذات مغزى على مسامعه . ولكن لاأدع مغزى كلماتي صريحة غير مقبولة . يجب ان تكون رقيقة جدا . يجب ان تكون أحلى من السكر . ان لم افعل كذلك فان غزلي سيصير انكماشا . انني أعرفه من أي جبلة هو ، خبير لابكبريات عروقه بل حتى بصغرياتها أيضا . اعرف ان كل عرق صغير ، أي مكروب وأي مرض إتخذه وكرا له،أعرف كل عرق كبير فيه بأي جنين لأي نوع من الافاعي حامل ، اعرف .. اعرفه جيدا ، لهذا علي ان اشرع ، أحسب الف حساب وحساب لكل كلمة تخرج من فمي . ماذا اعمل ! .. مادام هو كذلك ، فانا مضطر ان اكون كذلك أيضا ماذا افعل .. هذا ماكتب على جبيني . هذه هي قسمتي من الازل . انه في لوح الوجود ،ليس لي في الامريد .كان يسرني ان يكون انسانا إعتياديا . كان يسرني أن يبادر هو ليقول : أيا أخي .. ايا فلان .. إفصح عما في قلبك .. قل ماأنت تريده . كان يسرني ان يسرع هو من جانبه ليلوي خرطومي قائلا : شيء ما على ملامحك .. أقرأه في هيأتك . إسرع وقل لأعرف ماهو ؟ ولكن ماذا افعل . إنه ليس كذلك .. ها انني ومنذ شهرين اتلوى بهذه المسألة . شهران وانا من فرصة لفرصة معه . في كل فرصة أجعل من نفسي أمامه مستجديا .. خادما .. خنوعا خضوعا ، أقف بين يديه حزينا . أقف على أهبة الاستعداد عسى ان يقول : ماذا بك ؟ .. ماذا تريد ؟ ! لكنما لاقدر الله ان يقول شيئا كهذا . يبدو انه لايتفوه به . وكيف يتفوه به ؟! أولست أعرف من أي جبلة هو .. أو لاأعرف ماذا في عروقه ! حقا وماذا يمكن ان يكون فيهن !؟ ماذا أقول : ليس اكثرمما قلت . انه لكذلك .. صغار عروقه فيها مكروبات انواع الامراض .. كبار عروقه فيها أجنة لانواع الافاعي والا تفضل

إنني واقف كالعبد في حضرته اكثر من دقيقة دون ان يرفع راسه ليلقي علي نظرة ! .

ليسأل ويقول : الاياهذا ماذا تريد ؟ ! اياترى الايحس بوجودي ؟ !.. لماذا ؟ ! .. ثم انني لست كما يقال ذا جسم ضئيل هزيل لايجلب انتباهه ! . وزني اثنان وتسعون كيلو غراما . قامتي طولها مائة وثلاثة وثمانون سنتيمترا . يعني عريض طويل ، لكنما لايحس بي . إنه امرؤ عجيب ! . لئن يحسب للشكل والهيكل حسابا فهذا هو الشكل والهيكل . واذا للمهارة في العمل فوالله إنني أعرف عن العمل سبعمائة مرة عما يعرف . وان كان الاخلاص والجهد ، فانني كالبغل ، اي حمل هو الاثقل ليضعوه علي سالقي به على قمة اي جبل مستعص ولا اقول لا .. وماقلتها قط !. حقا إنه امرؤ عجيب !.. لاادرى اي حساب يحسب ؟! لاادري بم يتعرف على الثور ؟ ! لاادري كيف افهمه بأنني ثور ! . أجل انا ثور !. انا ثور ! .. »

من شدة ماكان متأثرا لم ينتبه الى نفسه ، اذ قال عبارته الاخيرة بصوت عال . وفي ذات اللحظة انتبه الى سقطته ولكن بعد ماذا ؟! لقد سبق السيف العذل ، كان (البيگ) قد رفع راسه . شاخصا بعينيه المفتوحتين تحملقان فيه . تطلقان علامة سؤال مرعب نحوه .

سرت في قلبه وحشة . بعدها شرع بخفقان مهيب . كان يتراقص في قفص صدره كدجاجة مذبوحة .

« قاتلك الله ماذا فعلت » .. جئت لتكسب لحية فخسرت الشارب ايضا ، ماذا ستقول له ؟! كيف تنقذ نفسك ؟! انه دونما اي شيء يتفجر تفجر (الصعادة) دون أن يتحدث شيء ما يخرج ابويك من اللحد . الاتعرفه ؟! .. ماذا انت فاعل الآن ؟! إنه الآن مبهوت ، انظر كيف ان عينيه محملقتان ، انه لازال خدرا ، الكارثة قد خدرته . عن قريب سينفجر ، واذا ما انفجر أتعرف ماذا سيفعل ؟! أتعرف ماذا سيقذف من فمه ؟! أى درر وجواهر ؟ فلوتسني له لهاجمك وتولاك ركلا . ولكن لايتسنى له حسنا لو انه اخذ عبرة من المرة السابقة ، انه تولاك دفعا ولكنه وقع ارضا ، انه كالعصفور حجما وانت عفريت عملاق . الخير في هذا لاخوف عليك من هذه الناحية . انه يستطيع ان يسخر فمه ضدك . فليفعل ، إنك معتاد عليه . درر وجواهر ينثرها فلينثرها حتى يملأ الارض والسماء . ماذا يهمني ، المبتل لايخشى من البلل . ماالذي أصنعه به . صار لي شهران وانا اريد ان احدثه به . لم يعطني اية فرصة لا الآن ولاقبل الان . صار سرطانا في قلبي ماذا اصنع به هو المخطيء هو الذي وضعني امام هذه الحالة . ان تكلم سالقي حبلها على غاربها واصارحه ، سالقى حبلها على غاربها ولا أتقبل منه . سافرغ له كل ما في قلبي ، بعدها أقول له ايضا ، إنك لست آدميا .. إنك حشرة . اقول له : انت أفعى انت عقرب .. انت عنكبوت ... انت صرصر المراحيض ... ماذا يفعل ... ها .. يعني ماذا يفعل ؟! انه بحجم العصفور وانا عفريت عملاق . استطيع ان امد يدي هكذا وآخذه بين كفي مثل .. عود يابس اضع ظهره على ركبتي واقصمه نصفين . أجل ... سالقي حبلها على غاربها وماأن يفتح فمه القذر القنه درسا . انني .. حيـ ... وا ... ن .

صراخ « البيگ » هذا هز باب وشبابيك غرفته ، وجعل هذا ينط ايضا كالبرغوث ، وعندما توضح منظر (البيگ) امام عينيه ، لاحظ (البيگ) واقف له على قدميه ، وقد غدت عيناه شعلتي نار ، فمه يرغو ، واسنانه تصر على بعضها . جسمه يرتجف كالقصبة ، هذا المنظر جعل من جسمه هو ايضا يرتجف . حملق بعينيه نحوه . عيناه المحملقتان رأتا جسد (البيگ) المرتجف ها انه يتحرك باتجاهه . فكر ...

«ياترى ماذا سيفعل ؟! ماذا ينتوي ؟! .. دفع ؟! ركل لااعتقد . لن يفعل . المرة السابقة . إذن ماذا؟! .. صفع ؟! محتمل ، ولكن لاتحصل يده لراسي بسهولة . أخشى ان يبصق علي ، يسوؤني هذا كثيرا . لايدع ايمانا في راسي. في المرة السابقة كنت اكاد أن اثيرها مشكلة . لقد كدت . ما أشد ابتلائي بصرصر المراحيض هذا . لاادري ماذا افعل؟! إنني سيء الحظ ، تعيس ، بائس . ماذا افعل هذه هي قسمتي . إرثا

ورثته . اما انني استطيع ان امد اليه يدًا افركه كالقملة ، ولكن لايجوز ، هو (بيگ) وانا فلاح . هو ذو سلطة وانا مسكين . هو رب وانا عبد ، والعبد ماذا يستطيع ان يفعل تجاه الرب ! انه يستطيع ان يقول خذوه واقطعوا من جسمه قطعة لحم يوميا .. بله يستطيع ان يقول خذوه وفي ساحة وسط المدينة جردوه من ملابسه وبعمود ..

ـ حيـ .. وا .. ن .

الصرخة في هذه المرة مزقت غشاء طبلة اذنه . وعندما انتبه الى نفسه ، وجد (البيگ) يقف بجنبه وقد وضع فمه في فتحة اذنه مباشرة ، إحتار انبهت ! . « آه ! ... صار البيگ طويلا !.. البيگ صار طويل القامة ! البيگ كانت يده لاترقى الى راسي ليصفعني ! في حين ها أن البيگ قد وضع فمه على أذني ! »

نسي كل شيء آخر . إحتلت تلك المسألة كل تفكيره . أراد أن يعرف السر على عجل . تراجع خطوة الى الوراء . تمعن ، إندهش في البداية ، أجال نظرة بالمشهد ، كان البيگ قد جاء بكرسي الى جانبه واعتلاه ، البيگ بهذا كان قد اوصل فمه الى قرب اذنه واطلق صرخته فيها . نسي كل شيء آخر . اخذته الضحكة في سره على هذا المنظر وهو يقول أيضا .

« الا يالبؤسك وبؤس أطوارك هذه ، أي بيگ انت ؟! البيگ كيف يجعل من نفسه مسخرة هكذا ؟! . تفضل لو إن أحداً رآك بهذه الصورة ماذا سيقول ؟! الايقول ان البيگ قد جن ؟! أو على الاقل الايقول ان البيگ لكونه هزيل ضئيل مالم يرتق على كرسي

لايستطيع ان يصرخ في اذن خادمه ؟! والله ياأخي انه بيگ حقير غير ذي شأن . والله وددت لو انني اركل الكرسي ركلة ارمي به ارضا كالدمية الرقاصة .. وددت لو ..

ـ حيـ ... وا ... ن .

كان البيگ قد نزل من الكرسي ، ولكنه جاء الى ماتحت أبطه ووقف على رؤوس اصابعه ، ويصرخ في اذنه ، وكان جسده لازال يرتجف كالقصبة ، عيناه كانتا شعلتي نار ، فمه لازال يرغو على اسنانه . تراجع هذا خطوة اخرى الى الوراء . تبعه هو ، خطوة اخرى أيضا وهو يتبعه . فكر في الامر . قال في نفسه :

«أخشى ان يفعلها ويبصق علي . لاارتضيها هذه المرة . سأطبق كفي على رقبته ولااتركه الا مخنوقا . ولكن لماذا .. ارفع يدي هكذا واضرب بجمع يدي على هامته وأصيره رشقا على الارض ! . لكنه لايفعلها .. اعرف انه لايجرؤ ان يبصق علي .. في المرة السابقة قطبت له مابين عيني بشكل جعلته عاقلا لسبعة أجيال . انسحابه ذاك الذي انسحبه الى الوراء لم يكن له من بعد تقدم . هذا عدا عن انه ذهب الى النافذة وظل دائراً لي ظهراً لم يكن له بعدها التفاتة .. وانا أيضا القيت على ظهره نظرة شزراء نارية تقطر حقدا وكراهية وفي الحال خرجت متباهيا ، لايستطيع البصق علي . لا لا يستطيع .. لايجرؤ . ظهر له في تلك المرة كم انا أنزعج من البصق . اي شيء آخر يفعل فليفعل الاهذا . الاهذا ..

ـ تفوو .. حيوان

فعلها البيگ ، بصق عليه . اما هذا ففي اللحظة الاولى استرخى في مكانه ، في اللحظة الثانية شعر ببصقة البيگ التي انحدرت كقطرات الصمغ على صفحة وجهه . في اللحظة الثالثة شعلة نار التهبت في وجهه وامتدت من قمة راسه الى أخمص قدميه . في اللحظة الرابعة انتقلت اللهبة التي في جسده الى داخل فمه وتجمعت فيه وفي اللحظة الخامسة صارت دوامة من بصاق و خلف شفتيه تهيأت للقذف . في اللحظة السادسة قُذفت :

ـ تفوو عليك انت وأنت حيوان ياحيوان .

عن مجلة كاروان العدد الخامس/ السنة الاولى .